[اَلطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ]

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ، لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ بِكُلِّ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَجَمَالِهِ عَلَى الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَطْيَبُ الْخَلْقِ وَأَطْهَرُهُمْ نَفْسًا وَنَسَبًا، وَأَزْكَاهُمْ خُلُقًا وَعَمَلًا، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَزْكَى الصَّلَوَاتِ وَأَطْيَبُ التَّسْلِيمَاتِ دَوْمًا وَأَبَدًا، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الْمَيَامِينِ الْأَخْيَارِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ

حَدِيثُنَا الْيَوْمَ عَنِ الطَّهَارَةِ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلَاةِ، وَعَنْ مَكَانَتِهَا فِي الْإِيمَانِ، اِنْطِلَاقًا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: (اَلطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ).

عِبَادَ اللَّهِ: فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ الْبَلِيغَةِ بَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ حَقِيقَةَ الطَّهَارَةِ وَمَنْزِلَتَهَا مِنَ الْإِيمَانِ، وَ (الطُّهُورُ) يَعْنِي: مَنْظُومَةَ الطَّهَارَةِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ، وَإِنْ كَانَ الْمُتَبَادَرُ إِلَى الذِّهْنِ الطَّهَارَةَ الْمَائِيَّةَ وَالتُّرَابِيَّةَ لِاسْتِبَاحَةِ الصَّلَاةِ، عَلَى أَهَمِّيَّتِهَا وَلُزُومِهَا لِصِحَّةِ الصَّلَاةِ، فَهِيَ تَشْمَلُ كَذَلِكَ:

□أَوَّلًا: اَلطَّهَارَةَ الْقَلْبِيَّةَ، وَهِيَ الْأَسَاسُ، لِكَوْنِهَا شَرْطًا فِي الْبَاقِيَاتِ، وَطَهَارَةُ الْقُلُوبِ تَكُونُ بِتَخْلِيصِهَا مِنَ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ وَالْحَسَدِ وَالْكِبْرِ وَالرِّيَاءِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْجَاسِ الْقُلُوبِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: [إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ]. وَالْمُرَادُ هُنَا فِي الْآيَةِ: اَلنَّجَاسَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ، وَهَذَا مَعْنًى نَسْتَخْلِصُهُ مِمَّا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَصْفِ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ قَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ).

□ثَانِيًا: اَلطَّهَارَةَ الْمَائِيَّةَ حَالَ الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ، وَهِيَ تَقُومُ بِتَنْقِيَةِ الْجَوَارِحِ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا تُنَقِّيهَا مِنَ الْأَدْرَانِ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوِ الْمُؤْمِنُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ). فَهَذَا الْحَدِيثُ كَافٍ شَافٍ فِي أَهَمِّيَّةِ الْوُضُوءِ وَدَوْرِهِ فِي تَنْقِيَةِ الْمُسْلِمِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَتَحْلِيَتِهِ بِالطَّهَارَةِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ).

□ثَالِثًا: طَهَارَةَ الْمَنْكَحِ وَسَلَامَةَ الْعِرْضِ وَالنَّسَبِ وَالشَّرَفِ، فَهَذِهِ الطَّهَارَةُ كَذَلِكَ لَا تَقِلُّ أَهَمِّيَّةً عَنْ سَابِقَتِهَا، إِذِ الْمُحَافَظَةُ عَلَى الطَّهَارَةِ بِهَذَا الْمَعْنَى – أَيْ: الْعِفَّةِ – مِنْ مَقَاصِدِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ أَمَارَاتِ الْإِيمَانِ، لِقَوْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي وَصْفِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: [وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ]. وَتَحَقُّقُ هَذِهِ الطَّهَارَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالنِّكَاحِ الشَّرْعِيِّ، وَبِشُرُوطِهِ الضَّامِنَةِ لِإِحْصَانِ الزَّوْجَيْنِ، وَحِفْظِ نَسْلِهِمَا وَصِيَانَةِ الْعِرْضِ وَشَرَفِ النَّسَبِ، وَحِمَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْ أَلْسِنَةِ السُّوءِ وَظُنُونِ الْخَرَّاصِينَ.

نَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْمُبِينِ، وَبِحَدِيثِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَغَفَرَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، آمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَطْيَبِ خَلْقِ اللهِ وَأَشْرَفِهِمْ نَسَبًا وَحَسَبًا، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

عِبَادَ اللهِ: بَعْدَ ذِكْرِ مَعَانِي الطَّهَارَةِ – أَيْ: الطَّهَارَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالطَّهَارَةِ الْمَائِيَّةِ وَطَهَارَةِ الْمَنْكَحِ وَهِيَ: الْعِفَّةُ -، نَأْتِي عَلَى ذِكْرِ:

□الْمَعْنَى الرَّابِعِ، وَهُوَ: طَهَارَةُ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ]. فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِبَاحَةٌ لِأَكْلِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، وَأَمْرٌ بِشُكْرِ اللهِ الْمُنْعِمِ بِمَا لَا يُمْكِنُ عَدُّهُ وَحَصْرُهُ مِنَ النِّعَمِ؛ لِأَنَّ الِانْقِيَادَ لِأَمْرِ اللهِ بِالِامْتِثَالِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ مِنْ أَكْبَرِ تَجَلِّيَاتِ صِدْقِ الْعُبُودِيَّةِ، وَمِنْ شَرَائِطِ الْإِيمَانِ.

وَدَلَالَةُ الطَّهَارَةِ هُنَا تَشْمَلُ طَهَارَةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مِنَ النَّجَاسَاتِ الْمَادِّيَّةِ وَالنَّجَاسَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَلَا يَحِلُّ أَكْلُ الْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ، وَمَا تَفَرَّعَ عَنْهَا كَمَا فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، كَمَا لَا يَحِلُّ أَكْلُ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ عَنْ طَرِيقِ السَّرِقَةِ، أَوِ الْغَصْبِ، أَوِ الرَّشْوَةِ، أَوِ الْغِشِّ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَسَائِرِ الْمُعَامَلَاتِ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ]. وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ).

□وَأَمَّا الْمَعْنَى الْخَامِسُ فَهُوَ: طَهَارَةُ الْمُجْتَمَعِ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَكُلِّ أَسْبَابِ الْفِتَنِ، وَطَهَارَةُ الْبِيئَةِ مِمَّا يُلَوِّثُهَا وَيَقْتُلُ فِيهَا مَادَّةَ الْحَيَاةِ الَّتِي تَعِيشُ عَلَيْهَا الْكَائِنَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ.

وَبِهَذَا – أَخِي الْمُسْلِمَ أُخْتِي اَلْمُسْلِمَةَ -، تَكُونُ الطَّهَارَةُ الْإِيمَانِيَّةُ بِهَذِهِ الشُّمُولِيَّةِ سَارِيَةً فِي كُلِّ حَرَكَاتِ الْمُسْلِمِ وَسَكَنَاتِهِ، مُسْعِدَةً لَهُ فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَيُصْبِحُ مُجَافِيًا لِكُلِّ مَا لَا يُنَاسِبُ حَالَهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ سُلُوكٍ، وَتِلْكَ هِيَ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ الْمَنْشُودَةُ وَالْمَوْعُودَةُ.

هَذَا وَخَيْرُ مَا نَخْتِمُ بِهِ الْكَلَامَ، أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعُمَّنَا مَعَهُمْ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،وَانْصُرِ اللَّهُمَّ وليَ أمرنا خَادمَ الحَرمين الشريفين، نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، اَللَّهُمَّ احْفَظْهُ بِحِفْظِ كِتَابِكَ، وَأَقِرَّ عَيْنه بِوَلِيِّ عَهْدِهِ الْمَحْبُوبِ، اَللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنْ كُلِّ مَا يَشِينُهَا، وَحَلِّهَا بِكُلِّ مَا يَزِينُهَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الطَّاهِرِينَ الْمُطَهَّرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، اَلْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.